البيئة كمعلم ثالث في مدارس ريجيو إيميليا الإيطالية لمرحلة رياض الأطفال

روان سعد عاتق الحربي *

مقدمة:

الطفولة هي أولى مراحل حياة الإنسان والتي تُعدُّ مرحلة التأسيس للمراحل اللاحقة من حياته وما يحدث خلالها يبقى أثره لباقي حياته، ففيها توضع الركائز الأساسية لشخصيته وتُنمَّى جميع جوانبها، كما تبدأ ميوله بالتكوين في هذه المرحلة ويتم تحديد مبادئ السلوك التي سوف يسير عليها، ويبدأ فيها تكوين القيَم والاتجاهات التي تسهم بشكلٍ كبيرٍ في بناء شخصية الفرد وتوجيهها للمسار الصحيح.

وتُعد مؤسسات رياض الأطفال الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها التربويون في تنشئة الأطفال منذ نعومة أظفارهم، وتقدم مؤسسات الطفولة التربية للطفل بهدف تنمية إمكاناته وقدراته ومهاراته في مختلف جوانب النمو، وهي الوسيط الأساس لارتباط الطفل بالمؤسسات التعليمية في مرحلة النمو التالية، كما أنها تعد حلقة الوصل بين الطفل والمجتمع الخارجي [١].

ولأهمية هذه المرحلة أكد المربُّون ضرورةَ العناية بها، وتوفير بيئة ملائمة وسويَّة للطفل تسهم في تنشيط قدراته، وتنميتها إلى أقصى حد ممكن، ومن هذا المنطلق تتأكد أهمية دُور الحضانة، حيث تقوم برعاية الأطفال، وتقدم لهم الخدمات التربوية والتعليمية، وفق أساليب علمية منظمة تساعدهم على النمو السويّ المتكامل [٢].

مدارس ريجيو إيميليا:

ونشأت مدارس ريـچيو إيميليا في مدينة "ريـچيو إيميليا" Reggio Emilia التي تقع

* باحثة في أصول التربية الدولية المقارنة – جامعة جدة – السعودية.

صور توضيحية للفصول الدراسية في مدارس ريـچيو إيميليا [Sakhomais@] صورة من تويتر

في منطقة "إيميليا رومانيا" تحديدًا في شمال إيطاليا، وتبلغ نسبة سكانها ١٣٠ ألف نسمة والتي سُمِّيت المدارس نسبةً إليها. ويعود تاريخ هذه المدارس الى عام ١٩٤٥ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وكما يشير لوريس مالاجوزي – مؤسس المدارس – أن البداية كانت بعد الحرب العالمية الثانية بستة أيام [٣].

وتعرف مدارس ريـچيو إيميليا على أنها مجموعة من المدارس للأطفال صغار السن يتم فيها إرشاد وتطوير الجوانب العقلية والعاطفية والإجتماعية والأخلاقية لديهم، ونظام التعليم في هذا النمط يُشرِك الأطفال صغار السن في مجالات بحثية طويلة الأمد، يتم تطبيقها في بيئة جميلة صحيحة تملؤها مشاعر الحب" [٤].

وبدأ نجم هذه التجربة يسطع في عالم التربية منذ عقدين من الزمان، وتحديدًا بعد صدور عدد ديسمبر ١٩٩١ في مجلة نيوزويك، وعلى غلافه "أفضل عشر مدارس بالعالم"، بعدها بعامين صدر الكتاب الذي عرض التجربة وبات من كلاسيكيات الكتب التربوية، بعنوان: "اللغات المائة للأطفال"، وهو العنوان نفسه للمعرض المتجول الذي أُقيم في العام نفسه وتضمن عرضًا مرئيًا للأطفال وأعمالهم وعمليات تعلُّمهم، وتوالت بعدها المُؤلَّفات والزيارات إلى مدينة ريـچيو إيميليا للتعرف إلى هذه التجربة عن كثب [٥].

البيئة في مدارس ريجيو إيميليا:

تركز مدارس ريـچيو إيميليا على الدور المهم لبيئة المدرسة في العملية التعليمية[٦]، ويتم تعريف البيئة على أنها "معلم ثالث"؛ ذلك لأنها تسمح للأطفال باستكشاف اهتماماتهم،

صور توضيحية للبيئة الخارجية في مدارس ريـچيو إيميليا
[Sakhomais@] صورة من تويتر

والتعلم من التجارب داخل الفصل الدراسي وخارجه، حيث أن الفصل الدراسي في ريـچـيو مُرحِّب للغاية وممتع من الناحية الجمالية، حيث يستمد المعلمون الإلهام من المجتمع الإيطالي وثقافات طلابهم والطبيعة، كما تم تصميم الفصول الدراسية في ريـچـيو لتشجيع العلاقات والتواصل والتعاون من خلال اللعب [٧].

وتتكون البيئة في مدارس ريـچـيو إيميليا بدايةً من صالة للاستقبال يتم فيها عرض المعلومات والوثائق، والتي تعطي الزائر للمدرسة توقعاً عن شكل المدرسة ونظامها، وتؤدي هذه الصالة إلى صالة الطعام، كما تؤدي إلى الساحة المركزية (Piazza)، وهي المكان الذي تتم فيه اللقاءات والألعاب والأنشطة الأخرى المكملة للأنشطة في الفصول الدراسية. وقد وُضعت الفصول الدراسية وحجرات الخدمات على بُعد مسافة من الساحة، وينقسم كل فصل دراسي إلى حجرتين متلاصقتين، أيضًا ما يميز مدارس ريـچـيو إيميليا وجود مرسم (atelier) وستوديو ومعمل(٤)، وتُعد المعامل في ريـچـيو إيميليا أماكن تتيح للأطفال الفرصة لأن يصبحوا ماهرين في كل أنواع التقنيات، مثل الرسم، والطلاء والعمل بالطهي؛ أي كل اللغات الرمزية [٣].

بالإضافة إلى الأتيلييه أو المرسم الصغير بجوار كل فصل دراسي، وهو المكان الذي يسمح بالعمل الممتد للمشروع. كما يوجد حجرة للموسيقى وللأرشيف، حيث تم وضع أشياء عديدة ومفيدة قام بعملها المعلمون والآباء. وقد استُخدمت الحوائط في جميع أقسام المدرسة لعرض أعمال الأطفال والمعلمين عليها [٤].

ويحتوي الفصل الدراسي على أثاث ملائم للغاية لجعل الأطفال يشعرون وكأنهم في المنزل، ويوجد مكان خاص بكل فصل دراسي مخصص للنوم لمن أراد من الأطفال أخذ قيلولة، ونصف الفصل الدراسي مغطى بالرفوف، التي تزود الأطفال بمواد غنية مثل الطين، والتماثيل، والألوان، والمجهر، والعدسة المكبِّرة، والأدوات الهندسية، والنباتات، وأدوات الزخرفة، والدهانات، والأزهار والفواكه الجافة. ويتم إعطاء كل طفل مكان مخصص له ليضع أغراضه فيه. جميع الأدوات السابق ذكرها منظمه بشكل جيد؛ مما يساعد الطفل على الحصول على ما يريد دون مساعدة من

أحد. المرايا جزءٌ أساسٌ من فلسفة ريـچـيو إيميليا حيث بحسب الفلسفة أنها تساعد الأطفال على فهم ذاتهم بشكل أكبر؛ لذلك فهي توجد بكل فصل دراسي. ويوجد في كل فصل دراسي طاولة ضوئية وجهاز عرض ضوئي لتساعد الأطفال على القيام بتجارب الضوء والظل، توجد أيضًا في مدارس ريـچـيو إيميليا بيئة متعددة الحواس تساعد الأطفال على التعرف إلى حاسة الشم واللمس والتذوق من خلال تعدد المواد، كما تكون النوافذ في الفصول كبيرة لتتيح إدخال أكبر قدر ممكن من الضوء وتسمح للأطفال برؤية البيئة الخارجية، بالإضافة إلى أن الفصول مزودة بالعديد من الأجهزة التكنولوچـية مثل: الكاميرات الرقمية، أجهزة IPad، وأجهزة الكمبيوتر [٨].

أما بالنسبة إلى البيئة الخارجية فيتم تصميمها هي والبيئة الداخلية على أساس مترابط يشجع على التفاعل والاستقلالية والاكتشاف والفضول، وتتفاعل البيئة وتتغير بحسب المشاريع وتجارب التعلُّم الخاصة بالأطفال والكبار [٩].

يُلاحظ مما سبق أن تصميم البيئة الداخلية والخارجية في مدارس ريـچـيو إيميليا، تدعم واجهة تربوية قوية تدعم علاقات الاتصال بأدوات يمكن تغييرها من حينٍ إلى آخر، في إطار مشروعات ترتبط بالحياة الاجتماعية وتقترب من حياة الأطفال وخبراتهم؛ بما يعطي لهم الفرصة للتعلم، ويسهم في عقدهم لعلاقة إيجابية مع ما يتعلمونه، هذا فضلًا عن أن البيئة تدفع الأطفال إلى الدافعية والابتكار، وتنمِّي الحس لديهم للتعلم في محيط آمن [١٠].

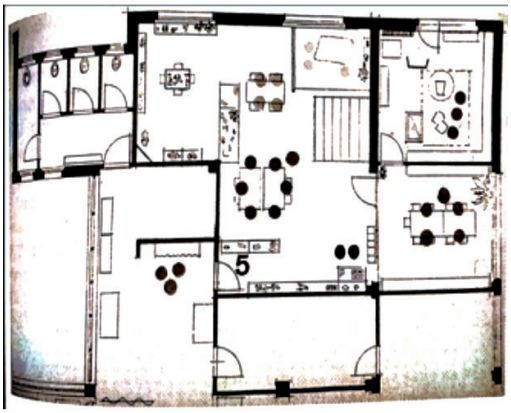

خريطة لأحد الفصول الدراسية في مدرسة ديانا، وهي إحدى مدارس ريـچـيو إيميليا في إيطاليا

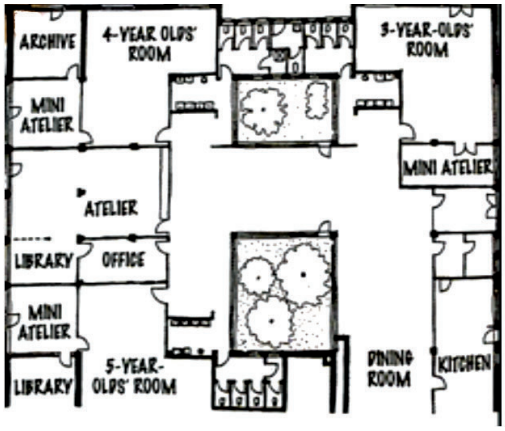

خريطة لمدرسة ديانا وهي إحدى مدارس ريـچـيو إيميليا في إيطاليا

الخاتمة:

نستنتج مما سبق مجموعة من التوصيات التي يمكن الاستفادة منها في بيئات رياض الأطفال:

- وضع مَرَايا بكل فصل دراسي في رياض الأطفال.
- وضع بعين الاعتبار عند بناء الروضات مساحات واسعة، وتصميم النوافذ بشكل كبير يسمح بدخول الضوء، ورؤية البيئة الخارجية.
- تخصيص مكان لوضع أعمال الأطفال الفنية (الإتلييه).
- تخصيص مكان لكل طفل لوضع أدواته به، ويسهل على الطفل الوصول إليه دون مساعدة من الآخرين.
- توفير جميع الخامات الطبيعية في بيئة الصف، مثل الأحجار، والطين، والأزارير، والورق، وغيرها.
- إثراء الفصول الدراسية في رياض الأطفال بجهاز المجهر، والأجهزة الرقمية، وإضاءات مختلفة؛ لتشجيع الأطفال على البحث والاكتشاف.
- إثراء بيئة الفصول الدراسية، بمختلف الخامات؛ لتعزيز حواس الأطفال الخمس.

المراجع:

١. أحمد، دعاء سعيد. (٢٠١٦). خصائص البيئة الفيزيقية للروضة في ضوء متطلبات النمو لدى الأطفال: تصور مقترح. مجلة الطفولة العربية: الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، مج١٨، ع٦٩، ٩ – ٣٨. مسترجع من: http://search.mandumah.com.sdl.idm.oclc.org/Record/774345

٢. مرزوق، سماح عبدالفتاح محمد. (٢٠١٤). دور بيئة الحضانة فى اكتساب الأطفال بعض مهارات الإدراك البصري: دراسة ميدانية. مجلة الطفولة والتربية: جامعة الإسكندرية – كلية رياض الأطفال، مج٦، ع٢٠، ٢١٥ – ٢٥٨. – مسترجع من: http://search.mandumah.com.sdl.idm.oclc.org/Record/666947

٣. إدواردز، كارولين وجانديني، ليلا وفورمان، چورچ. (٢٠١٠). الأطفال ولغاتهم المائة – مدخل ريچيو إيميليا – تأملات متطورة. (ترجمة: ليلى كرم الدين). دولة الكويت: الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية.

٤. إدواردز، كارولين وجانديني، ليلا وفورمان، چورچ. (٢٠٠٥). مئات اللغات للأطفال – منهج ريچيو إيميليا لتعليم الأطفال. (ترجمة: حزم عبدالواحد). القاهرة: عالم الكتاب. (١٩٩٨).

٥. بشور، نصير نجلاء. (٢٠١٢). تجربة ريچيو إيميليا في إيطاليا/ تجربة تربوية لمجتمع ينهض من الدمار. مجلة الطفولة العربية. مج١٣(ع٥٢)، ص ص ٨٩–١٠٠.

٦. هيندريك، چوان. (٢٠١٠). الخطوات الأولى نحو تدريس منهج ريچيو إيميليا. (ترجمة: حزم عبدالواحد وافي). القاهرة: عالم الكتاب.

7. Goodwin University, A Look Inside the Reggio Emilia Classroom Environment. Retrieved on 17-8-2020
https://www.goodwin.edu/enews/reggio-emilia-classroom-environment/

8. Alghofail, Jawaher. (2015). Reggio Emilia Study Tour, Arab Childhood Magazine, (64), 111 - 120.

٩. أطفال ريچيو . (٢٠١٣). المؤشرات: رياض الأطفال ومراكز رعاية الرضع في بلدية ريچيو إيميليا. (ترجمة: علي عاشور الجعفر). دولة الكويت: الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية.

١٠. النقيب، إيمان العربي محمد. (٢٠٠٩). الاتجاهات التربوية المعاصرة في تربية طفل رياض الأطفال تجربة (ريچيو إيميليا Reggio Emilia) في إيطاليا. مجلة كلية التربية. مج١٩، (ع٣)، ص ص ٨٢–١٤٣.